

أدب مقموع في العالم العربي يتحاشاه جميع الكتّاب

الاعتراف فرصة للتطهر والتحرر لكن العرب يهابونه

لأسباب وعوامل معيارية وشخصية وموضوعية وحضارية لايزال الأدب العربى يفتقر إلى مخرون كاف من الكتابات التى تنقل حياة الكاتب المبدع وتُفاصيل حميمة من يومياته بتجرد وشفافية وصراحة، في تجربة غاية في الجرأة والكشف يطلق عليها أدب الاعتراف الذي ذهب الغرب مسافة بعيدة في عرضه أمام القارئ دون عقد ولا إكراهات وخلدت قامات كبيرة في هذا المجال نذكر جان جاك روسو ونيتشه وبودلير، لكنه



على خلاف الغرب فإن الثقافة العربية لا تتحمل أدب الاعتراف الذي يتجرأ على الكشـف وتعرية طبقات سـميكة من جلد الكاتب والمجتمع الذي يعيش فيه علي حد سواء كحاضن ومشكل لتجربة الكاتب.

في التجربة العربية المعاصرة بالخصوص تم تخليد أسماء تفوقت في الاعتراف بصدق وجــرأة أدبية لافتة، وهي من الندرة بشكل يصعب معه الركون إلى مقولة وجود أدب اعتراف عربي قائم الذات، لاسـيما وأن أعمال كـ"الخبز الحافي" لمحمد شكري شكلت فلته كبيرة في هذا الصنف من الأدب القائم علىٰ المكاشَّفة والتجرد، مقارنة بالقرون الماضعة عندما كان الكاتب العربي أنذاك أكثر جرأة في الاعتراف بما يختلج بداخله على الأقل.

أدب الاعتبراف صنعية فردية لتجرية جوانية تساهم في نضجها سياقات ثقافية وسيكولوجية وأيديولوجية ودينية، لا تنظر إلى النجاحات فقط، بل تركز على السقطات دون خجل ولا وجل، الشيء الذي يعطي لقصة الكاتب روحا متجددة تنبعث كل مرّة وتساهم في ردم التابوهات وتمديد مساحة الحرية والإبداع والخلق.

> البعد عن الصراحة في اعترافات الكتاب العرب يردها البعض إلى الخوف من بطش المجتمع المحافظ ومؤسساته

كان الاعتراف فرصة للتطهر من النقائص والتحرر من الذنوب كما صاغه قديسون ورواد الكنيسة منهم أغسطس، وكما التقطه كتاب غربيون وعلى رأسهم لإراحة ضميره، عكس الثقافة العربية التى تشبجع على الستر وعدم اللجوء إلىٰ فضح السلوك الفردي والجمعي.

وبصيغة قاطعة لا يوجد فن 'السيرة الاعترافي' في العالم العربي، كما يؤكد الكاتب العراقي على بدر، فهذا الانكشاف يعرض المرَّء في الإطار الثقافي والاجتماعي إلى نوع من الإِذلال أو الفضيحة، ويتلاقعي في هذا الرأي مع الروائي الراحل عبدالوهاب الأستواني الذي نفئ أن يكون أي شـخص في مجتمعاتنا العربية اعترف بشكل كامل إلا في استثناءات التي لا يقاس عليها بالطبع، ويمكن للكاتب أن يخفي ما اقترفه في شخصيات قصصية

ولهذا ستكون استرجاعات الذاكرة البعيدة والحميمة بشكل صادق في أدب الاعتراف الذي يرتكز على البوح والإفصاح عند الكتاب العرب مرتبطة بسياقات وأبعاد نفسية واجتماعية وسياسية وثقافية وحضارية وهوياتية، كان بالإمكان أن تصبح شهادة عميقة قد ترقئ بادب الاعتراف إلى مصاف وثائق ومصفوفات بمكن الاعتماد عليها في الأبحاث الاجتماعية والأنتروبولوجية

وما دام أدب الاعتراف يعد رافدا مهما يصب في بحر السيرة الذاتيية دون أن يكون سيرة، فهو كما يقول الكاتب خيري شلبي، جنس أدبي يقرر من خلاله صاحبه البوح والإفصاح حتى يريح ويستريح وهذا الجنس الأدبي مليء بالأشهواك ولذلك لم يطرقه سهوى قلة من الأدباء العرب رغم أنه شائع في الغرب

مدوّنته السرديّة. وعلى هذا الأساس قطعت كتابة محمد شكري شــوطا كبيرا فى التعبير عن هوية الكاتب المتمردة والتي لم تكن متمركسزة فقط على ذات الكاتب بل تعدته إلى جوانب من حياة الآخرين، وإذا فحصنا اعترافاته من خلال بوابة "الخبز ويعتبرونه في مقدمة الإبداع الأدبي من الحافي"، الكتاب الذي لاقيٰ شبهرة واسعة ناحية القيمة والمصداقية. وأدب الاعتراف في الغرب والتضييق بعدم نشره في لـم يكن فرديا محضا، عند إيهاب النجدي

و فاسقة إلى حد كبير.

كما كتب محمد شكري، الذي تجرأ على

الكشف بجمالية ودهشة عن المكبوت إلى

جزيئات تعتمل داخل المجتمع والناس.

كما أن الالتباس المفزع بين مفهومي الفن

والأخلاق قد يعتبر مانعا سيكولوجيا

لدى الكاتب يفقده القدرة على البوح ومما

يجعل أدب الاعتراف في أزمة مزمنة لدى الكتاب العرب في وقتناً هذا رغم الانفتاح

الذي سهلته الثروة البيوتكنولوجية في

اعتبارها صادمة ولا تتماشى مع السائد

في مجتمعات عربية كما أنها تتماهى مع

تلك السرديات التي تعتبرها لا أخلاقية

وتثير الفتنة، وهذا ما ضيق على أدب

الاعتراف في السرديات العربية، إلا

القليـل الـذي نجا مـن مقصلـة الرفض

كتابات لازالت تمثل نموذجا جديا في

أدب الاعتراف، إذ كان الرقيب الذاتي عند

هذا الكاتب في أدنى مستويات عمله، ما ساهم بشكل كبير في خلق هامش كبير

من الحرية استثمرها روسو في رصد كل

تفاصيل حياته بجرأة كبيرة، عكس ما

نجده لدى زمرة من الكتاب العرب الذين

طغيئ عليهم ذلك الرقيب الذاتي منعهم

روسو تفاعل مع عصره فأبدع

أما اعترافات جان جينيه يمكن

. عصرنا الحالي.

وحتى لا نسقط في ثنائية الصادق

والمدعى من الأدباء الذين كتبوا اعترافات

بين الحرية والهوية

الاعتـراف كحكـي لا يمكـن أن يكون ذا فعاليــة وقــوة وتأثيــر حتـــي يصبح لا بد من استحضار السياقات التاريخية المتحكمــة فــى البنيــة الذهنيــة للكاتب

وإذا عدنا إلى روسو رائد الاعتراف بعد القديس أغسطين، فقد أراد أن تكون . اعترافاته شيئا فريدا من نوعه لن يأتي

هوية الكاتب هي الرافد والهدف من وراء مغامرة أدب الاعتراف، ولهذا يؤكد الأكاديمي عبدالله إبراهيم في كتابه "السرد والاعتراف والهوية"، أن الهُويّة سواء كانت

فرديّة أم جماعيّة، فلا يمكن انتزاع الكاتب من الحاضنة الاجتماعيّة والثقافيّة التى يشتبك بها؛ ذلك أنّ أدبه يقوم بمهمّة تمثيلها، وبيان موقعه فيها، فلا يطرح موضوع

الهُويّة في السرد، ِ والاعتراف بها، إلا

علىٰ خلفيّة مركّبة من

صاحب "أدب الاعتراف..مقاربات تحليلية من منظور سـردي"، خصوصا حين يحلل نقائص المجتمع، ومثالبه التي ليس في مقدور وجوده الجمعي الإقرار بها، فيأتي الاعتراف مصحوبا بسياق عام، تصطرع بداخله نظم الأخلاق والسلوك والتعليم والتربية والأعراف، ويقف عند التكوين النفسيّ للمجتمع، ويسعىٰ للتغلب علىٰ معوقات التنشئة القويمة، ومعضلات التربية السليمة.

فضائحية فالأهم هو مدى انتشارهم وجودة منتوجهم كون هذا الأدب عربيا لم يأخذ مساره السردي بشكل واضح ونوعي نظرا إلى رد فعل المجتمع بشكل عام الذي دائما ما يكون ساخطا وعنيفا ضد من يتجرأ على فضح مستوره.

يمكن إرجاع ندرة أعمال أدبية تفتش في خصوصيات دقيقية من حياة الكاتب إلىئ ظروف مجتمعية خالصة تسيطر عليها ثقافة الحذر من البوح الذي قد يحطم بعض التابوهات والمتاريس التي صنعتها ظروف سياسية واجتماعية وثقافية جعلت منسوب الحرية منخفضا بدرجة لا يستطيع معها الكاتب العربي أن يكشسف عن ذاته للعمسوم، ثم هناك بعض الكتاب لا يملكون بالفعل تجارب حياتية متنوعة وغاية في العمق والثراء الفكري والحضاري يمكن الارتكاز عليها في صناعة كتابة تمتاز بالتجرؤ على البوح

عامل حدد لأكبر عدد من القراء، وهنا والسياسية والسيكولوجية والاجتماعية العربي التي بإمكانها أن تؤهله أو تكبح

أحد بمثلها فها هـو يقول في بداية كتابه "الاعترافات"، "إننى أعتزم عملا لم يكن له قط من نظير ولن يقلده أحد أبد الدهر إذ أريد أن أرى أمثالي من الخلق إنسانا على تمام سيحيته، ذلك الإنسان هو أنا". لكن حاء بعده أدباء وكتاب غربيون توسعوا في الحديث عن سيرهم وكشفوا المستور، لكن هل يمكن القول على الأدباء في الثقافة العربية بأنهم كانوا كلهم على سجيتهم مثل روسو؟ لا أعتقد ذلك وبشبهادة العديد من المؤرخين وعلماء الاجتماع العرب.

من التمادي في كتابة اعترافاتهم وكبتها أما الروائى والكاتب المصري نجيب أدب منبوذ محفوظ فقد كان ذكيا عندما قال "لم أفكر

لماذا يعتبس أدب الاعتسراف محطّ شبهة وموضوع ارتياب في العالم العربى، ســؤال أجاب عليه الناقد العراقى عبدالله إبراهيم، كون الجمهور لم يتمرّس في قبول الحقائق السرديّة والواقعيّـة، فيرى في جرأة الكاتب على كشيف المستور سلوكا غير مقبول، وإفراطا فى فضح المجهول، فالاعتراف مصاط بالكثير من ضروب الحذر في مجتمعات تقليديّة تتخيّل أنّها بّلا أخطاء، فِتبالغ في ِذِكر نِعَم اللَّه عليها، وكأنَّها هباتٌ خُصّت بها دون سواها، وتتحاشى ذكر عيوبها، وتتوهّـم أنها تطهّرت من الآثام التي واظبت على اقترافها مجتمعات أخرى، فتدفع المضاوف كثيرا من الكتّاب إلى اختلاق تواريخ اســترضائيّة لمجتمعاتهم، وابتكار صور نقيَّة لذواتهم، متجنَّبين كشيف المناطق السـرّيّة في تجاربهم، وإظهار المسكوت عنه في مجتَّمعاتهم، فصمتوا عمَّا ينبغي عليهم قوله أو زيّفوا فيه، وربّما أنكروا

في كتابة سيرتي الذاتية ووضعها في

كتاب مستقل؛ لأنني كتبت سيرتي في

روایاتی وقصصی، فهو کروائی عربی

ينتمى إلى مجتمع محافظ ويعى جيدا القوانين التي تحرك بيئته السياسية

والاجتماعية والتربوية فلم يقترب من

موقد نار الاعتراف بل ألبس أجزاء من حباته الخاصة لشخصياته الروائية دون

أن يتحدى مجتمعه ويتجرأ على إسـقاط

الأدبية وعلم الاجتماع فإن أدب الاعتراف

لن ينتعش في ظل بيئة سياسية

واجتماعية وثقافية تنظر للبوح على

أنه شبهة وتهديد للتقاليد التي تأسس

عليها المجتمع العربي، هذا الأُخير الذي

طبع منذ زمن بعيد مع المداراة والتستر

علىٰ السلبيات وإظهار الإيجابيات ولو

نفاقا، حتى إذا عرجنا على أسماء كاتبات

عربيات نجد أنهن لـم يتجرأن كذلك على

فضح المستور وعصيان النظام العام

داخل المجتمع حتى الشهيرتين نوال السعداوي وغادة السمان لم تكونا

صريحتين جدا وكاشفتين للذات إلى حد

بعيد في مؤلفيهما علىٰ التوالي "أوراق

حياتي" و"رسائل غادة السمان وغسان

باحماع متخصصين في الدراسات

مع محمد شكري، الكاتب المغربي صاحب رواية الخبر الحافي كان الأمس مختلف إلى أبعد حدّ، فقد وصف بشكل دقيق أول لقاءاته الجنسية مع المرأة الأولى داخل ماخور، بعدما كان يسرق نقود أمه كى يشتري معجون الحشيش

وقوعه، يريدون بذلك الحفاظ على الصور

الشُفَّافة لَّهُم ولمجتمعاتهم



محمد شكري لم يسر الكثير من الكتاب العرب على نهجه



العرب يخشون الاعتراف

سحيرته الذاتية كاعترافات، كما أن ربط الواقعي بالمتخيل في عمل الكاتب يقلل حيث يتفنن في تغطية أحداث ووقائع حقيقية بجلد سميك من الخيال حتى لا يتم نبذه مجتمعيا الشيء الذي يجعلنا لا نتحدث عن أدب اعتراف.

ىىئة طاردة

البعد عن الصراحة في اعترافات الكتاب العرب يردها البعض إلى الخوف من بطش المجتمع المحافظ ومؤسساته، على اعتبار أن الاعتراف بالأخطاء والسلبيات ومكامن الضعف في حياة هذا الكاتب تنسحب على منظومة تربوية وسياسية واجتماعية وتعليمية ساهمت في تشكيل وعى وذهنية ونفسية ذلك الكاتب، وأي بوح فهو يعري الغطاء عن أسرار كثيرة لا يود الكثير كثيفها.

قويل مؤلف الخبر الحافي بالصد وعدم القبول بعدما تمت ترجمته إلى العربية في سبعينات القرن الماضي، إذ تمت مهاجمته بعنف وضيراوة ومنعت في عدد من الدول العربية وتم التضييق على صاحبها كونه كثنف جانبا مستورا من حياة الكاتب والمجتمع على حد

ولهذا نتماهي مع رأي إيهاب النجدي، في هـذا النوع مـن الاعتراف الذي يصفه جدولا يشق طريقا محفوفا بالمخاطر، يتسع ويضيق على قدر ما يمتلك صاحب السيرة من شبجاعة الصراحة، والاطمئنان إلى المكاشفة مكاشيفة الذات والآخر معا، والاعتصام بالصدق –النسبي بالتأكيد– لا يرده عنه إلا عارض من نسيّان، أو إثارة من خوف

والكيف، والذهاب إلى السينما، واعترف شكري بأن القهر والألم والغضب من أبيه علاقة بالعالم السفلي من مجتمع طنجة شمال المغرب، ففضح بكل ما أوتى من قوة ذلك المجتمع الذي قاده للانحراف، من خلال الكتابة.

حتى الأديب اللبناني سهيل إدريس لم يسلم من سهام نقد لاذع وعنيف من طرف عدد من النقاد بعدما أقدم على نشر "أصابعنا التي تحترق"، عالج فيه مجموعة مـن الأحداث والتفاصيل يمكن تصنيفها ذات حساسية بالنسبة لمجتمع عربىي محافظ ومتستر على نقائصه، رغم أن سهيل إدريس في مغامراته النسائية وعلاقته بوالده باستخدامه التلميح وسعيلة للمداراة، لـم يرق إلى إفصاح ومكاشفة محمد شكري الذي ترجمت روايته إلى أكثر من عشرين

فالاعتراف كما يرى إيهاب النجدي، في مؤلفه "أدب الاعتراف". مقاربات تحليلية من منظور سردي"، يستقر في أذهان الكثير من الناس في باب المسكوت عنه، ويحاط بالظنون والشبهات، على كل الصعد، ومنها صعيدا الأدب والنقد، وتتحرك هذه المقاربات صوب ثقافة عربية تبجّل الستر، وتميل إلى طي الصفحات الماضية أو السوداء، وتؤثر السلامة، وهي رجع صدى لإرث عريق في المدائح والمقاخرات، تجانب الإفصاح عن الأخطاء، وتتحاشى الكشيف عن مرات السقوط في حركة الحياة، فبدت جمهرة السِّـير -غيرية وذاتية- نقية نقاء الثوب الأبيض في رائعة النهار.

بالتالي فإن رصد الحقيقة عارية فاضحة شفافة يتطلب جرأة كبيرة وهى التي يفتقر إليها الكاتب العربي في